

العلاج بالمنطق "قراءة في نظرية إليوت كوهين العلاجية"

د. عابر محمد عبد العزيز^(*)

مقدمة:

يبدو أن العديد من المشكلات السلوكية والانفعالية التي من الممكن أن يمر بها الإنسان عبر تاريخ حياته، لم تعد تعالج من قبل المعالجين النفسيين فحسب، وإنما باتت للفلاسفة والمناطقَة أيضًا دورًا بارزًا في هذا المجال، وبدلاً من أن يذهب المسترشد، أو المستنصح إلى المرشد النفسي؛ طلباً للإرشاد والنصيحة في محاولة منه للتخلص من مثل هذه المشكلات؛ فسوف تكون قبلته هذه المرة إلى ما يسمى بالمرشد الفلسفي. ويبدو أيضاً أن مثل هذا الأمر لم يعد بالمستغرب خاصة في ظل الموجة التطبيقية التي تعيشها الفلسفة المعاصرة بكل فروعها. وكيف أن مصطلحات من قبيل: الفلسفة باعتبارها علاجاً، والعلاج بالمنطق، والإرشاد الفلسفي، والممارسة الفلسفية، والفلسفة الإكلينيكية أصبحت من المصطلحات البارزة في الفكر الفلسفي المعاصر.

ومما لاشك فيه أن الدور الذي يمكن أن يؤديه الفلاسفة والمناطقَة في هذا المجال الإرشادي، سوف يفتح الباب مجدداً للحديث عن قوة العلاقة، التي يمكن أن تربط بين الفلسفة وعلم النفس. بمعنى هل تعود العلاقة بين العلمين الكبيرين إلى سابق عهدهما من التعاون، عندما كان علماء النفس يؤكدون الأهمية البارزة للفلسفة في ممارساتهم المهنية. أم سوف تظل العلاقة علاقة تجاهل واستبعاد، ويظل علماء النفس لا يكثرثون بما يحدث في مجال الفكر الفلسفي؟

والدراسة هنا موجهة لمعالجة إحدى النظريات التي تؤكد ذلك، ونقصد بها نظرية العلاج القائم على العمليات المنطقية، والتي يتبنى صاحبها - إليوت كوهين Elliot D. Cohen⁽¹⁾ -

^(*) أستاذ (م) المنطق وفلسفة العلوم كلية الآداب جامعة سوهاج.

⁽¹⁾ إليوت د. كوهين Elliot D. Cohen فيلسوف ومعالج، حصل على الدكتوراه من جامعة براون، تعددت مجالات اهتماماته البحثية ما بين الأخلاق التطبيقية وأخلاق المهنة، والتفكير النقدي، والإرشاد الفلسفي وفلسفة علم النفس. ترأس العديد من الدوريات والمراكز البحثية، فعمل رئيساً

المنطق واستدلالاته المختلفة، فيعلاج العديد من المشكلات السلوكية والانفعالية. لاسيما وأن مثل هذه النظرية قد لاقت اهتماما واسعا- منذ نشأتها وحتى وقتنا الحاضر- من قبل عديد من الفلاسفة وعلماء النفس. ولاقت أيضا قبولا وانتشارا كبيرين لدرجة أن العديد من المؤلفات الخاصة بها قد تم ترجمتها إلى عدّة لغات، كما قامت على قواعدها العديد من المراكز والعيادات العلاجية.

وتدور إشكالية الدراسة حول العديد من التساؤلات، والتي من أبرزها:

- ما مفهوم نظرية العلاج القائم على المنطق؟ وهل لهذه النظرية أصول أو جذور يمكن تلمسها في الفكر السابق؟
- ما طبيعة العلاقة بين العلاج بالمنطق والإرشاد الفلسفي؟ وهو ما يستوجب بطبيعة الحال التعرف إلى طبيعة العلاقة بين العلاج بالمنطق والإرشاد النفسي.
- ما المبادئ أو الأسس التي يمكن أن تقوم عليها مثل هذه النظرية؟
- ما المجالات التي يمكن أن تطبق فيها مثل هذه النظرية العلاجية؟
- إلى أي مدى نجحت هذه النظرية في الحقل الإكلينيكي، مقارنة بالنجاح الذي أحرزته العديد من نظريات الإرشاد النفسي الأخرى؟
- وعليه، وفي محاولة للإجابة عن مثل هذه التساؤلات؛ فسوف نعالج هذه النظرية من خلال مباحث عدة، تتمثل في الآتي:

لتحرير المجلة الدولية للفلسفة التطبيقية. وكذلك أسس وترأس تحرير المجلة الدولية للممارسات الفلسفية، وعمل أيضا محررا لمجلة الأخلاقيات التطبيقية. له العديد من المؤلفات، ولاسيما في مجال الإرشاد الفلسفي نذكر منها: العلاج العقلاني الجديد 2007م، والتفكير النقدي 2008م، والفلاسفة في العمل (مقدمة للاستخدامات العملية للفلسفة) 2000م، والمعالج الحكيم (الممارسة الأخلاقية في الإرشاد والعلاج النفسي) 1999م، وغيرها العديد من المؤلفات الأخرى. هو صاحب نظرية العلاج القائم على المنطق، والتي أسسها اعتمادا على نظرية ألبرت إيليس العلاجية، والتي كان لها صدى واسع في المجالين النفسي والفلسفي على حد سواء. وقد قام كوهين بالتطبيق الفعلي للعلاج القائم على المنطق في معالجة بعض الاضطرابات النفسية، وكانت النتائج مرضية إلى حد بعيد. (لمزيد من المعلومات عن كوهين وحياته ومؤلفاته. انظر السيرة الذاتية لكوهين متاح على الرابط:

- التعريف بنظرية العلاج القائم على المنطق.
 - العلاج بالمنطق بين مفهومي الإرشاد الفلسفي والإرشاد النفسي
 - المبادئ الأساسية لنظرية كوهين العلاجية.
 - طبيعة العلاقة بين نظرية العلاج بالمنطق ونظرية إليس العلاجية.
 - مكانة نظرية العلاج القائم على المنطق بين نظريات الإرشاد ومستقبلها.
- أمّا عن المنهج المتبع في الدراسة فيمكن القول: إنه تم الاستعانة بالمنهج التحليلي النقدي المقارن، مع الاستعانة بالمنهج التاريخي في بعض الأحيان.
- أولاً: التعريف بنظرية العلاج القائم على المنطق.
- يمكن القول إن نظرية العلاج القائم على المنطق Logic – Based Therapy، والتي تعرف اختصاراً بـ (L.B.T) هي صورة متطورة لما يسمّى بالإرشاد الفلسفي. أو تطبيق النهج الفلسفي في العمليات العلاجية لبعض الأمراض النفسية.⁽¹⁾ وهي أيضاً تمثل التطور الفلسفي لإحدى صور الإرشاد النفسي، والذي يسمى بالعلاج العقلاني الانفعالي السلوكي، Rational-Emotive Behavior Therapy والذي يعرف اختصاراً بـ (R.E.B.T). وقد أسسه المعالج النفسي ألبرت إليس في خمسينيات القرن التاسع عشر.⁽²⁾ والذي يمثل إحدى طرق العلاج النفسي psychotherapy
- وعلى الرغم مما قد يفهم ضمناً من أن نظرية العلاج القائم على المنطق هي نفسها الإرشاد الفلسفي، ولكن في صورة متطورة. فقد وجب التأكيد على أن نظرية العلاج القائم على المنطق تمثل إحدى صور الإرشاد الفلسفي، وصورة من صور الفلسفة التطبيقية⁽³⁾، وتنسب هذه النظرية إلى إليوت كوهين. فكما أن للإرشاد النفسي نظرياته

(1) Cohen,D .Elliot,: Theory and Practice of Logic- Based Therapy, Integrating Critical Thinking and Philosophy into Psycho-therapy, Cambridge Scholars Publishing, 2013, p.55

(2) Cohen,D., Elliot: The Metaphysics of Logic – Based Therapy, International Journal of Philosophical Practice,3(1), 2005,P.55

(3) Diaz-waian, Marisa., How Philosophy can Help us grieve : Navigating the wake(s) of loss, International journal of Applied philosophy ,2014,P.26

الخاصة، وكذلك الحال في الإرشاد الفلسفي. بل ويمكن القول: إن العلاج القائم على المنطق يمثل أبرز طرق الإرشاد الفلسفي وأشهرها. فالعلاج القائم على المنطق هو وسيلة رائدة للممارسة أو المشورة الفلسفية، يهدف إلى مساعدة المسترشدين إلى معالجة مشكلاتهم السلوكية والانفعالية، اعتماداً على الأفكار والنظريات الفلسفية.⁽¹⁾

والفكرة الرئيسية لهذه النظرية - وفقاً لما يشير صاحبها - هي: أن العديد من المشكلات السلوكية والانفعالية المنهكة التي يعانيها عديد من الأفراد، والتي ربما تقضي إلى هزيمة الذات، يكون أساسها التطبيق الخاطئ للتفكير المنطقي، أو الممارسة الخاطئة للعمليات المنطقية، التي يلجأ إليها الفرد في معالجة مشكلاته.⁽²⁾ أو كما يشير كوهين: أن أصل الفكرة بدأ من خلال القول أن المشكلات السلوكية والانفعالية متجذرة في التفكير اللاعقلاني. والعلاج القائم على المنطق يوفر أدوات التفكير الناقد، لمعرفة المقدمات المنطقية الخاطئة للمسترشد، وتحديد مثل هذه المقدمات اللاعقلانية ودحضها، وبناء الترياق الفلسفي المستتير لها.⁽³⁾

وخاصة القول في ذلك: إن الإنسان في حياته اليومية يواجه العديد من المشكلات في مجالات شتى: كالأسرة والعمل. ويتعرض للعديد من أحداث الحياة الضاغطة أو غير المستحبة له، وللمن يقع في دائرة اهتمامه، مثل: الوفاة، والطلاق، والإخفاق، والرسوب، والمرض، والخيانة... الخ. وفي محاولة للتغلب على مثل هذه المشكلات وإيجاد حلول لها، يلجأ الإنسان إلى التفكير المنطقي وأدواته المختلفة، ويقدر تشبُّع الإنسان بالفكر المنطقي السليم، وامتلاك أدواته المختلفة يتعامل مع مثل هذه الأحداث. فالإنسان الذي لا يمتلك ناصية المنطق، ولا يجيد فن الاستدلالات السليمة يقع فريسةً سائغةً لمشكلاته، فربما يتعثّر أو يتأخراً ويتوهم في حلها. الأمر الذي ربما يؤدي بدوره إلى العديد من الآثار النفسية المترتبة على ذلك. وهدف العلاج بالمنطق يكمن في إرشاد المتعثرين والمتأخرين والواهمين في بناء استدالات منطقية بشكل سليم، ومن

(1) Cohen, D., Elliot: Logic-Based Therapy: The New Philosophical Frontier for REBT®
Albert Ellis Foundation, Available from: <http://www.rebtnetwork.org/essays/logic.html>

(2) Cohen, D., Elliot, D: Theory and Practice of Logic-Based Therapy, OP., Cit, P. ix

(3) Ibid.

ثمَّ عودة التصالح مع الذات، والقضاء على الآثار السلبية التي ترتبت على التفكير اللاعقلاني.

فالعلاج القائم على المنطق يوفر مجموعة ديناميكية من أدوات المنطق، والتي عن طريقها يستطيع المرشدون الفلاسفة مساعدة المستصحين أو المسترشدين على تجنُّب السلوكيات والانفعالات المدمرة.⁽¹⁾

ويعود تاريخ هذه النظرية إلى كوهين ورفاقه في الربع الأخير من القرن العشرين - وبالتحديد عام 1980م- وبعد ذلك نمت هذه النظرية نمواً مضطرباً في السنوات الأخيرة من القرن العشرين. وفي وقتنا الحالي باتت هذه النظرية تتمتع باهتمام كبير من قبل مستشاري الصحة النفسية. خاصة المنتمين إلى التوجه السلوكي والمعرفي والمرشدين الفلاسفة في جميع أنحاء العالم. وما يشهد على هذا الامتداد الكبير لهذه النظرية أن موادها قد ترجمت إلى عدة لغات منها: الإيطالية، والألمانية، والصينية، والكورية.⁽²⁾

وهكذا بعدما كانت المشكلات السلوكية الانفعالية تعالج حصرياً من قبل المعالجين النفسيين؛ باتت للفلاسفة دور كبير في هذا العلاج، وفي حين أن التدريب على المنطق والتحليل الفلسفي لم يكن له مكان في برامج إعداد وتأهيل المعالج النفسي، بات جزءاً أصيلاً من هذه المنظومة.

ومثل هذه النظرية ربما فتحت المجال أمام المشتغلين بالحقل الفلسفي على منافسة المرشدين النفسيين في علاج أو إرشاد المستصحين، وبدلاً من التأكيد على ضرورة تعلم المنطق وأدواته لتأهيل المعالجين النفسيين وإعدادهم، فلماذا لا يكون من الأولى أن نؤكد إعداد وتأهيل ما يمكن تسميته بالمرشدين الفلاسفة؟ .

ثانياً: العلاج بالمنطق بين مفهومي الإرشاد الفلسفي والإرشاد النفسي

ذكرنا من قبل أن فكرة كوهين في النظر إلى المنطق باعتباره علاجاً ناجعاً، يمكن أن تمثل تطوراً لنظرية العلاج العقلاني الانفعالي السلوكي، وهي إحدى نظريات الإرشاد

(1) Cohen, Elliot, D. , philosophical principles of logic-Based Therapy, Practical philosophy, the British Journal of Philosophical Practice, Spring 2003, p 35

(2) Cohen .Elliot, D: Theory and Practice of Logic- Based Therapy, Op. Cit., P.ix

النَّفْسِي. وذكرنا أيضا في الوقت ذاته أن مثل هذه التَّظَرَّة إلى المنطق هي صورة متطوِّرة لما يسمى بالإرشاد الفَلْسَفي، أو صورة من صور الإرشاد الفَلْسَفي. وعليه فلنا أن نتساءل هنا عن: طبيعة العلاقة التي يمكن أن تربط بين الإرشاد الفَلْسَفي والإرشاد النَّفْسِي، وما هو موقع نظريَّة العلاج القائم على المنطق من هذين الإرشادين؟

وقبل الإجابة عن مثل هذا التساؤل يجب علينا التوقف هنا لتوضيح مفهوم مصطلح "الإرشاد الفَلْسَفي"، واثني بات من المصطلحات الأكثر تداولاً على ساحة الفكر الفَلْسَفي، في الآونة الأخيرة. ناهيك عن قصور التعريف به قياساً بما يسمى بالإرشاد النَّفْسِي.

فالإرشاد الفَلْسَفي Philosophical Counseling تخصص علمي ومجال جديد في الفلسفة، ظهر إلى حيز الوجود عندما قام مجموعة من الفلاسفة، بإجراء البحوث الفَلْسَفية على المستوى التطبيقي، والكشف عن أهميتها في مساعدة الناس على حل مشكلاتهم الوجودية. وفي ضوء ذلك، نشأ هذا الجانب من المعرفة الفَلْسَفية على المستوى التطبيقي سريعا. والذي يعرف باسم الفلسفة العملية أو التطبيقية Applied Philosophy الذي ينطوي على تطبيق مجالات خاصة من المعرفة الفَلْسَفية في مجالات أخرى؛ للمساعدة على حل مشكلات الإنسان، ويسمى في بعض الأحيان "بالممارسة الفَلْسَفية، أو الفلسفة كإرشاد أو المشورة الفَلْسَفية، والتي بدأت تترعرع منذ عام 1980 على يد جيرداخين باخ (1).Achenbach

ويمكن القول: إنَّ ثمة اتفاقاً بين الممارسين الفَلْسَفيين Practitioners Philosophical على أن الإرشاد الفَلْسَفي يتضمن فلسفة. وأنهم بالفعل يمارسون التفلسف مع المسترشدِين Counselees. ولكنهم يختلفون في مدى ذلك وكيفية. والاختلاف هنا نتج عنه عدم اتفاق حول تعريف موحد للإرشاد الفَلْسَفي. (2).

(1) رياض العاسمي، ما بين الإرشاد الفَلْسَفي والنَّفْسِي صراع أم تعاون؟، مجلة نقد وتوير، العدد الخامس، (2016م)، ص (25-26).

(2) BlankaSulavikova: Key Concepts in Philosophical Counseling, Institute for Research in Social Communication, Slovak Academy of Sciences, Human affairs 24,2014, , p . 574

والإرشاد الفلسفي ليس له تعريف واحد ومحدد، وإنما تعريفات عدة، ولعل السبب في ذلك يعود إلى تعدد الزوايا التي يمكن النظر من خلالها إلى الإرشاد الفلسفي. وكما يشير البعض فثمة مفاتيح رئيسة تؤدي دوراً مهماً في تفسير معنى الإرشاد في الفلسفة، والتي يمكن أن تتمثل في: التفكير النقدي، ووجهة النظر العالمية، والحكمة والحياة الجيدة، والفضائل... وغيرها.⁽¹⁾

ورغم عدم الاتفاق حول تعريف موحد للإرشاد الفلسفي، فثمة اتفاق واضح حول الهدف أو الغاية من الإرشاد الفلسفي، والتي تتمثل بشكل عام في: تحقيق السعادة للإنسان وجعله يعيش حياة أفضل. فالمرشد يستخدم الفلسفة من أجل مساعدة المسترشد في التغلب على مشاكله، من خلال تحليل معتقداته وموقفه منها؛ ليعيش أفضل وينعم بحياة سعيدة.⁽²⁾

ويظهر هذا الهدف واضحاً جلياً من خلال العديد من التعريفات التي تم تقديمها للإرشاد الفلسفي، من قبل المعنيين بذلك. فهناك مثلاً التعريف الئذيري: أن الإرشاد الفلسفي نمط من الإرشاد الذي يستخدم طرقاً ورؤى فلسفية؛ لمساعدة الناس على التفكير، تجاه القضايا المهمة في حياتهم، حتى يستطيعوا العيش حياة أكثر حكمة.⁽³⁾

وهناك من يرى أن الإرشاد الفلسفي - في أبسط معانيه - يتمثل في تطبيق الأخلاق والتفكير النقدي وغيرها من المصادر الفلسفية، في مساعدة الأفراد في التعامل مع المشكلات، والسعي لعيش حياة ذات معنى. وهو يساهم في تعزيز الصحة النفسية الإيجابية. وهذا ما يقوم به المرشد الفلسفي الئذي يجب عليه ألا يدعي أنه قادر على شفاء الاضطرابات النفسية الأساسية.⁽⁴⁾

ويعرفه كوهين أنه فرع المعرفة العلاجية، وصورة من الإرشاد الئذي تستخدم الطرق والنظريات الفلسفية، وهو في حد ذاته لا يمثل فلسفة نقية، وإنما هو أقرب إلى الفلسفة

(1) Ibid. , p.574.

(2) Ibid.p.575

(3) BlankaSulavikova: Key Concepts in Philosophical Counselling,Op.Cit., p. 575

(4) رياض العاسمي ، الإرشاد الفلسفي والصحة النفسية، متاح على الرابط :

التطبيقية.⁽¹⁾ والإرشاد الفلسفي هو شكلٌ مبتكرٌ من أشكال الإرشاد، يستخدم المهارات الفلسفية والأفكار لمساعدة الناس على التفكير في حياتهم بوساطة تطبيق عدد كبير من هذه المهارات، في مواجهة مشكلات المستنصح، بصفته مرشداً وناصحاً له.⁽²⁾

ورغم أنَّ هناك من ينظر إلى الإرشاد الفلسفي على أنه حركةٌ وليدة يؤرِّخ لها بالربع الأخير من القرن العشرين فهناك من يرى الإرشاد الفلسفي - أو الفلسفة - باعتباره علاجاً قديماً قدم الفلسفة ذاتها؛ فالفلسفة لم تنشأ في الأصل إلا للإجابة عن تساؤلاتٍ، كثيراً ما أرقت الإنسان وأرهقت عقله، وأثرت في أدائه في الحياة. ومن ثم كانت بمنزلة المعالج له، والمرشد الذي يوجهه دائماً نحو الطريق الصحيح. فهناك سقراط الذي أرشد مدعى العلم إلى طريق المعرفة الصحيحة. وهناك أفلاطون الذي انتحل فكرة أنَّ أية مشكلة يكون علاجها عن طريق الحوار بين أطرافها. وتابع أرسطو بدوره هذا النهج الإرشادي من خلال أورانونه، في محاولة منه لتجئب المعارك الفكرية آنذاك، نتيجة الخطأ في استخدام التعبيرات اللغوية، وغموض الاستدلالات العقلية.⁽³⁾

وبعد هذه الفترة - التي يمكن أن نطلق عليها فترة المرشدين الأوائل في الفلسفة - تحولت الفلسفة القديمة برمتها إلى فلسفة علاجية أو إرشادية، وكان هدفها الرئيس هو مد يد العون إلى الإنسان وإخراجه من دائرة الاضطرابات الفكرية آنذاك، وإرشاده نحو تحقيق أكبر قدر ممكن من السعادة. وقد ظهر ذلك واضحاً في الفلسفة الأبيقورية والفلسفة الرواقية؛ حيث باتت الفلسفة مع الأخيرة شفاءً من شتى أنواع القلق، وكل أصناف الهم والألم. وليس هذا فحسب، فهناك أيضاً بوثيوس الذي كتب سفراً رائعاً عن العلاج بالفلسفة يسمّى "عزاء الفلسفة"، والذي تضمّن أساليب ناجعة في علاج النفوس القلقة. وتم النَّظر إلى هذا الكتاب على أنه يمثل رويته علاج هائلة لكل نفس بشرية تواجه ظروفًا استثنائية.

(1) Cohen .Elliot, D: Theory and Practice of Logic- Based Therapy, Op. Cit., p,x

(2) رياض العاسمي، ما بين الإرشاد الفلسفي والنفسى صراع أم تعاون، المرجع السابق، ص (23).

(3) مصطفى النشار، العلاج بالفلسفة، الدار المصرية السعودية، القاهرة، (2010م)، ص (34-35)

وفى العصر الحديث اصطنع ديكارت الشك وجعله علاجاً مهماً لجمود الفكر آنذاك. ومع تقدم العلم واغترار الإنسان بقدراته العقلية والعلمية لدرجة تقديس العقل، جاء كانط بمؤلفاته الشهيرة في نقد العقل، وقدم علاجاً ناجحاً لكسر هذا الوهم والاغترار بالعقل⁽¹⁾. ويمكن القول: إن الحديث عن المرشدين الفلسفيين عبر تاريخ الفلسفة يطول كثيراً، فتاريخ الفلسفة - بشكل عام - زاخر بالنماذج والنظريات، التي يمكن أن تعد في ذاتها علاجاً لأمراض نفسية ومجتمعية في وقتها.

وعلى الرغم من هذا التاريخ الطويل الأثني نلمح من خلاله كيف أن الفلسفة كانت حاضرة في كل العصور على أنها علاج ناجح، لم يأخذ الإرشاد الفلسفي الصورة التطبيقية التي نجدها في الإرشاد النفسي مثلاً، إلا في أواخر الثمانينيات كما ذكرنا آنفاً. بحيث يمكن القول: إنه لم يعد دور الفلاسفة منحصرًا في التحليل اللغوي للأفكار والقضايا الأخلاقية، وإنما بات لهم دور إرشادي علاجي مثل بقية الأساليب النفسية، التي تقدم خدماتها للأفراد، الذين يعانون من مشكلات نفسية أو عقلية⁽²⁾.

ولو انتقلنا سريعاً إلى مفهوم الإرشاد النفسي، فهو - كما يعرفه علماء النفس والمعنيون بذلك - يمثل أحد فروع علم النفس التطبيقي، ويهتم بمساعدة الأفراد العاديين، من يواجهون بعض المشكلات البسيطة، التي يخشى لو ترك أصحابها تحت ضغوطها دون مساعدة إرشادية، أن يقعوا فريسة في حبال الاضطراب والمرض. ولالإرشاد النفسي مجموعة من الصور، من بينها ما يسمى بنظرية العلاج العقلاني الانفعالي السلوكي الخاصة بألبرت إيس⁽³⁾.

ونلاحظ من خلال هذه السطور القليلة أن ثمة تشابهاً بين الإرشاد الفلسفي والإرشاد النفسي، الأمر الذي يجعلنا نتساءل حول إمكانية أو طبيعة العلاقة التي يمكن أن تجمع بينهما.

(1) المرجع نفسه ص(35) وما بعدها.

(2) رياض العاسمي، ما بين الإرشاد الفلسفي والنفسى صراع أن تعاون، المرجع السابق، ص23

(3) لمزيد من المعلومات عن الإرشاد النفسي يمكن النظر إلى:

- نادر فهمي، نظريات الإرشاد والعلاج النفسي، عمان، الأردن، 1998م.

- باترسون، نظريات الإرشاد والعلاج النفسي، ترجمة حامد عبدالعزيز، دار القلم، الكويت، (1990م).

وذكر كوهين في هذا الصدد أن ثمة وجهة نظر تشير إلى أنّ الإرشاد الفلسفي والإرشاد النفسي حقلان متميزان، وكلٌّ منهما مستقلٌّ بذاته. وعلى الجانب الآخر ثمة وجهة نظر أخرى ترفض ذلك التمايز والاستقلال - وكوهين من أنصارها بطبيعة الحال - والتي ترى أن أصحاب وجهة النظر الأولى فشلوا في تقدير العلاقة التبادلية الموضوعية الجوهرية بين الإرشاد الفلسفي والإرشاد النفسي. ويفند كوهين سبب تبنيه وجهة النظر الثانية وليس الأولى، إلى أن الافتراض الرئيس الذي أقام عليه أصحاب الوجهة الأولى رأيهم والقائم على أنه بسبب أن الفلسفة وعلم النفس هما في الأساس حقلان مستقلان، ومن ثم فالإرشاد الفلسفي والإرشاد النفسي كلاهما مستقل أيضا. ويرى كوهين أن التعميم هنا يمثل مغالطة؛ فالفلسفة تمثل وجهاً للإرشاد الفلسفي، ولكن هي ذاتها ليست الإرشاد الفلسفي، ومن ثمّ فما يصدق على الجزء ليس بالضرورة أن يكون صادقاً على الكل.

فالفلسفة - كما يشير كوهين - هي مدخل إلى الإرشاد الفلسفي، وهو صورة من الإرشاد الذي يستخدم الطرق والنظريات الفلسفية، ولكنه ليس فلسفةً خالصةً وإنما فلسفةً تطبيقيةً، وفي التطبيق تصبح نفسيةً. فهي إذن العلاج النفسي وليس الفلسفي فقط.⁽¹⁾

ويمكن القول: إنّ ثمة نقاطاً مشتركة بين الإرشاد الفلسفي والإرشاد النفسي، ولا يمكن أن يكونا في حالة صراع، بل هما في حالة من الانسجام والتكامل والتعاون. ولا يمكن أن يستغني أحدهما عن الآخر، على اعتبار أن جميع النظريات الإرشادية انبثقت من الأفكار الفلسفية.⁽²⁾

وعليه، فليس من المستغرب أن نرى أن نظرية العلاج القائم على المنطق عند إيوت كوهين من خلال تحليلها لتفكير المسترشدين، وإبراز ما يمكن أن ينطوي عليه من مغالطات، ومحاولة دحض هذه المغالطات واستبدالها بما هو منطقي وعقلاني، في محاولة للتخلص من الآثار النفسية السلبية التي ترتبت على مثل هذا التفكير اللامنطقي، والوصول بالمسترشد إلى حالة من الرضا والسعادة - كل ذلك يجعلها صورة من أبرز

(1) Cohen .Elliot, D: Theory and Practice of Logic- Based Therapy, Op. Cit., P. x

(2) رياض العاسمي، ما بين الإرشاد الفلسفي و النفسي صراع أم تعاون، المرجع السابق، ص (65).

صور الإرشاد الفلسفي، وهي في الوقت ذاته يمكن أن تمثل صورة متطورة من نظرية العلاج العقلانيا لانتفعالي، تلك النظرية التي تمثل صورة من صور الإرشاد النفسي، والتي جمعت بين طياتها بين الصبغة الفلسفية والصبغة النفسية⁽¹⁾.

ثالثاً: المبادئ الأساسية لنظرية كوهين العلاجية

يشير كوهين إلى أن نظريته قد بدأت من فكرة: أن العديد من المشاكل السلوكية الانفعالية المنهكة والمحبطة للذات، ربما تعود - إلى حد بعيد - إلى المنطق السيئ. وكنت أتساءل - والكلام لكوهين - كيف أن العديد من الزيجات تفشل من خلال ارتكاب التفكير الخاطئ، وكيف أن العديد من الصراعات الأسرية التي تفضي إلى القلق والاكتئاب والشعور بالذنب، تعود إلى استنتاجات لم تمر على الإرشاد الفلسفي⁽²⁾. بمعنى أن نظرية كوهين العلاجية تقوم على فرضية رئيسة مؤداها: أن المشاكل السلوكية والانفعالية لدى البشر تعود إلى التفكير غير العقلاني. ويتعجب كوهين كيف أن علاج مثل هذه المشكلات السلوكية والانفعالية، كان مقصوراً على علم النفس فحسب، ويزداد تعجب كوهين من كيف أن التدريب على المنطق والتحليل الفلسفي، لم يكن يمثل جزءاً من تدريب المعالجين النفسيين⁽³⁾.

ووفقاً لما تم عرضه - في أكثر من موضع - يمكن تحليل هذه الفرضية الرئيسية، إلى مجموعة من الفرضيات الفرعية وهي عند كوهين، تتمثل في أربع فرضيات، وهي:

- أن البشر يستنتجون - وبشكل منطقي - مكونات السلوك المعرفي لانفعالاتهم، من خلال مجموعة من المقدمات.
- أن الجنس البشري في الأصل ليس معصوماً من الخطأ، وأن مقدمات استدلالاتهم الانفعالية والسلوكية تميل إلى تضمينها مغالطات.
- أن المشاكل الانفعالية والسلوكية لها جذور واقعية.

(1) وهذا ما سوف نناقشه بالتفصيل عند التعرض لنظرية إليوت، وعلاقتها بنظرية إليس العلاجية.

(2) Cohen .Elliot, D: Theory and Practice of Logic- Based Therapy, Op. Cit., P.ix

(3) Ibid.

- أنَّ الجنس البشريَّ لديه قوة إرادة خارقة، ويمكن استخدامها للتغلب على مغالطات الاستدلال الانفعالي السلوكي.⁽¹⁾

وحينما أراد كوهين التَّحَقُّق من مدى صحَّة فرضيته، من خلال التعامل مع بعض المسترشدين بإشراف المعالجين النفسيين، وجد أن الناس يجلدون ذواتهم من خلال ارتكاب أخطاء استدلالية. وكيف أنَّه كان من الممكن رفع ذلك عن طريق المرشدين الفلاسفيين؛ وعليه تيقن من أن علاج هذه الفئة من المستنصحين عن طريق المنطق والفلسفة، سوف تعطى نتائج أفضل من علاجها عن طريق الإرشاد النَّفسي.⁽²⁾

هذا، وإن كانت هذه هي الافتراضات التي يمكن أن يقوم عليها العلاج القائم على المنطق، فثمة خطوات رئيسة لتطبيق هذا العلاج، وهي:⁽³⁾

1- تحديد انفعالات أو مشاعر المستنصح

تتمثَّل الخطوة الأولى في طريق العلاج القائم على المنطق، في قدرة المرشد الفلاسفي على تحديد المشاعر الانفعالية للمسترشد، وربما يتم ذلك من خلال إجراء مقابلات أولية معه. وتحديد طبيعة مثل هذه الانفعالات عند المسترشد تعدُّ من الأهمية بمكان، وهي تحاكي- إلى حدِّ كبير - مرحلة تشخيص المرض في العلاج الطبي، وكلما كان التشخيص دقيقاً كان الدواء ناجحاً.

2- الوقوف على مقدمات الاستدلالات الانفعالية للمستنصح

يقف المرشد بعد ذلك - ومن خلال محاورة المسترشدين - عند مقدمات استدلالاتهم التي بدءوا منها وبنوا عليها استنتاجاتهم، وأدت بهم إلى الحالات النفسيَّة التي يمرون بها، مع تحليل وتفنيد مثل هذه المقدمات وإعادة تركيبها بشكل منطقي سليم؛ حيث أن

(1) Cohen, Elliot,D., The Metaphysics of logic – based therapy, International journal of Philosophical Practice, 2005., p.1

وانظر أيضاً:

- BlankaSulavikova: Key Concepts in Philosophical Counseling, Op. Cit., p, 575

(2) انظر في ذلك:

- Cohen .Elliot, D: Theory and Practice of Logic- Based Therapy, Op. Cit., P , x

(3) Manassero, Angelo Mario, The Six Steps LBT and Antidotes for Aurora's Anxiety, international Journal of philosophical Practice ,Vol.4, No.3, spring 2017.

أغلبها يكون من النوع المضمّر. فكوهين يرى أن جلاً الاستدلالات التي يقوم بها المسترشدون، والتي تفضي بهم إلى حالات نفسية سيئة مثل الاكتئاب، والشعور بالذنب... إنما هي من نمط الأقيسة المضمرة، خاصة التي يقوم فيها المسترشد بحذف المقدمة الكبرى وتقديم فقط المقدمة الصغرى والنتيجة. ولعل غياب مثل هذه المقدمة يفضي إلى المزيد من المغالطات، وهنا يأتي دور المرشد أو الناصح، في إعادة المقدمات المفقودة، من خلال محاورة المسترشد، وتوضيح ما يمكن أن ينطوي عليه القياس من مغالطة.⁽¹⁾

3- دحض أية مقدمات غير عقلانية (المغالطات):

يشير كوهين في إطار ذلك إلى أنّ دحض الفرضية الخاطئة في التفكير الانفعالي، هي خطوة مهمة نحو تصحيحها.⁽²⁾ والعلاج بالمنطق لديه القدرة على الكشف عن المغالطات التي يتضمنها تفكير المسترشد. وهي أخطاء في التفكير تصيب مقدمات استدلالات المسترشد، والتي تؤدي بطبيعة الحال إلى استنتاجات مدمرة غالباً ما تفضي إلى الإحباط وعدم السعادة عند أصحابها.⁽³⁾

ويقدم إليوت كوهين من خلال تجاربه وخبراته في العديد من كتاباته إحدى عشرة مغالطة أو أفكاراً، لا يمكن وصفها بالمنطقية. وأكد أن مثل هذه الأفكار اللامنطقية هي الأكثر شيوعاً وانتشاراً بين المسترشد، وتتمثل أهم هذه الأفكار في الآتي:⁽⁴⁾ طلب الكمال، واحتقار الذات، والتفكير الكارثي، والاحتمالات المشوهة، والتخمين الأعمى، وعرقلة الإبداع، والإمعية، وتبسيط الواقع، والتفسير اللاواعي.

(1) Cohen, Elliot, D., Syllogizing RET: Applying Formal Logic in Rational- Emotive Therapy, Journal of Rational Emotive and Cognitive – Behavior Therapy, Vol. 10, No. 4., Winter 1992., p . 237

(2) Cohen, Elliot, D., Critical Thinking, Rowman & Littlefield Publishers, Inc New York, 2009, p. 264

(3) Cohen, Elliot, D., Theory and Practice of logic Based Therapy, Op.Cit., p.12

(4) Ibid., p.13

وانظر أيضاً:

4- العثور على ترياق أو علاج للمقدمات المدحضنة:

ويشير كوهين في إطار ذلك إلى أن النظريات والأفكار الفلسفية يمكن أن تكون مفيدة في بناء الوصفات المضادة للتفكير اللاعقلاني⁽¹⁾. بمعنى أن الإنسان يمكنه دحض وبناء ترياق للمغالطات الموجودة في مقدمات الاستدلال، من خلال التحليل الفلسفي. فالعلاج يصحح المغالطة من خلال إدخال فلسفة عقلانية في بدايتها. ويرى كوهين أنه يمكن استخلاص الترياق من عدد لا يحصى من النظريات والأفكار الفلسفية، التي يذخر بها الفكر الفلسفي على مر العصور. فأفكار أفلاطون - على سبيل المثال - ربما تمثل ترياقاً لمغالطات ابتغاء الكمال. وهناك أرسطو العظيم الذي كرّس أخلاقياته لغرس بعض الفضائل، مثل: الشجاعة، والاعتدال فيمواجهة الشدائد. وهناك مفكرو الرواقية القدامى وتحذيرهم من المطالبة بالكمال. هذا فضلاً عن أفكار كانط فيما يتعلق بفضيلة الاحترام. وغيرهم كثير، مثل: ديكارت، هيوم، لوك، نيتشه، شوبنهاور... وكلها يمكن أن تمثل ترياقاً للعديد من مغالطات التفكير اللاعقلاني لدى المستصح. ومثل هذه الأفكار والفلسفات التي تستخدم بوصفها أدوات للعلاج القائم على المنطق بغية مساعدة الناس، تحقق مزيداً من السعادة لهم في حياتهم.⁽²⁾

والعلاج بالمنطق - كما يشير كوهين - ليس فقط محاولة للتغلب على المغالطات في التفكير اللاعقلاني، ولكن يتضمن أيضاً جانباً إيجابياً، يتمثل في محاولة زرع الفضائل المتعالية لدى المستصحين⁽³⁾. فالعلاج بالمنطق يهدف في بناء ترياقه إلى ترسيخ مجموعة من القيم والفضائل العليا من خلال تحاشيه - أو محاولته التغلب على - المغالطات في تفكير المسترشدين. وهو بهذا يتميز عن نظرية العلاج العقلاني الكلاسيكية، حيث إن

(1) Cohen, Elliot, D., Critical Thinking, Op. Cit., p.264

(2) Cohen, Elliot, D., The Metaphysics of logic - based therapy, Op. Cit., p.8

وانظر أيضاً:

- Cohen, Elliot, D., Theory and Practice of logic Based Therapy, op. Cit., p.15

(3) Cohen, Elliot, D., The Metaphysics of logic - based therapy, Op. Cit., p.8

الأخيرة تركز على الجوانب السلبية فيتجنب تلك المغالطات. والعلاج القائم على المنطق يمكن أن يمثل هنا صورة لعلم النفس الإيجابي.⁽¹⁾

وربما يعنى ذلك أن الترياق الذي ينشده العلاج القائم على المنطق يتمثل في الفضائل. وكأن المغالطات التي يقترفها المستصح في تفكيره هي بمنزلة الرذائل. ويعالج كل رذيلة منها بفضيلة مقابلة. وهذا ما فعله كوهين فعلياً. فقد قدم لنا إحدى عشرة فضيلة كنماذج للترياق، في مقابل إحدى عشرة مغالطة أو رذيلة التي تحدث عنها في التفكير اللاعقلاني لدى المسترشدين.

5- مساعدة المسترشد في الوصول إلى الفضيلة المبتغاة:

بمعنى أن المرشد في هذه المرحلة يقوم بمساعدة المسترشد في الوصول إلى الفلسفة أو الفلسفات التي تساعده في الحصول على الفضيلة المبتغاة. فربما تكون هناك بطبيعة الحال أكثر من فلسفة يمكن أن تفيد المسترشد، مثلما يكون هناك أكثر من تركيبة دوائية للمرض ذاته، ولكنني هذه الحالة لا يتم فرض فلسفة بعينها على المسترشد، ولكن يترك له حرية الإرادة في اختيار الفلسفة المناسبة، من بين حزمة الفلسفات المقترحة - وفقاً لوجهة نظره.

6- تعيين تمارين تهدف إلى تعزيز الإرادة:

بمعنى أن العلاج القائم على المنطق يرى أن البشر لديهم قوة إرادة فطرية، يمكن أن تستخدم في التغلب على المغالطات في استدلالاتهم، أو تفكيرهم الانفعالي، وكذلك في ترسيخ الفضائل العليا. وهذه القوة المستقاة من الإرادة تكون على صورتين وفق تصنيف العلاج القائم على المنطق لها. فهي إما أن تكون قوة وقدرة على الامتناع عن فعل شيء ما حتى مع الرغبة القوية في القيام به، وإما أن تكون القدرة والقوة على مواصلة القيام بشيء ما، مع الرغبة بشدة في عدم القيام به.⁽²⁾

(1) Cohen, Elliot, D., Theory and Practice of logic Based Therapy, Op. Cit., p.14

(2) Ibid., p.15

ويقدم كوهين مثلاً على ذلك من خلال صورتين⁽¹⁾ لاستدلال، تمثل إحداهما اللاعقلانية في التفكير، في حين تتطوي الأخرى على التفكير العقلاني.

الصورة الأولى تتمثل في:

- إذا لم أستطع الحفاظ على وظيفتي، فأنا إنسان فاشل.

- لقد فقدت وظيفتي.

- إذن أنا فاشل.

الصورة الثانية تكمن في:

- إذا لم أستطع الحفاظ على وظيفتي؛ فيجب أن أتعلم من أخطائي، وأفعل الأفضل في القادم.

- لقد فقدت وظيفتي.

- إذن يجب عليّ أن أتعلم من أخطائي، وأفعل الأفضل في المرّات القادمة.

فتمّة مشاكل سلوكيّة – كما يشير كوهين – تتبع من حديث الإنسان لذاته أنه لا يستطيع السيطرة على مشاعره أو تغيير سلوكه.⁽²⁾ فالصورة الأولى توضح كيف أنّ الشخص ليس لديه القدرة على التغيير البناء لعكس من الصورة الثانية. كما أن النتيجة في الصورة الأولى غالباً ما تصاحبها انفعالات من قبيل الاكتئاب، والشعور بالذنب، وجلد الذات. في حين أنّ النتيجة في الصورة الثانية من الممكن أن يصاحبها انفعال الرضا، والتفاؤل، والتطلع لما هو أفضل.

فكوهين يرى إذن: أنّ تمّة قوة إرادة لدى البشر، وهي فطريّة، وتستخدم للتغلب على المغالطات التي يمكن أن تنشأ من التفكير اللاعقلاني لديهم. ولكن يبدو أنّ مثل هذه القوة من الإرادة تكون خاملة لدى المستصحين. وهنا يأتي دور العلاج القائم على المنطق في تعزيز هذه الإرادة. ويكون ذلك من خلال مجموعة من التمارين والواجبات، التي تمكنهم من ممارسة قوتهم الإراديّة.⁽³⁾

(1) Ibid., p.1

(2) Cohen, Elliot, D., The Metaphysics of logic – based therapy, Op.Cit., p.17

(3) Ibid.

ويمكن أن يكون من بين هذه التمارين ما أشار إليه البعض، من أن كوهين كان في الغالب يعطي المستصحين الكتب الفلسفية المناسبة للقراءة؛ بهدف توسيع أفقهم المنطقي. ويذكر أنه في إحدى الحالات كانت المستصححة زوجاً مستبدة بشكل خاص؛ لذا طلب منها كوهين أن تقرأ موضوع المرأة عند جون ستيوارت مل، وقد كان لهذه القراءة تأثير قوي في حالة مستصححة كوهين.⁽¹⁾

وعلى الرغم من أن هذه الخطوة تبدو متداخلة مع الخطوة الخامسة⁽²⁾، فالفكرة الرئيسية في هذه الخطوة هي التطبيق أو التنفيذ للفلسفة المختارة من قبل المسترشد. وبطبيعة الحال فهذا التطبيق لا يكون في جلسة واحدة، وإنما خطة من العمل يتم تنفيذها على مراحل أو جلسات.

رابعاً: طبيعة العلاقة بين نظرية العلاج بالمنطق ونظرية إليس العلاجية

وفقاً لما أشار إليه كوهين وذكرناه آنفاً، من أن نظرية العلاج بالمنطق هي تطور لنظرية العلاج العقلاني الانفعالي عند ألبرت إليس. وفي ظل وجهة النظر هذه، لنا أن نتساءل: لماذا أقدم كوهين على تطوير نظرية إليس؟ وهل ثمة أوجه قصور في نظرية إليس العلاجية؟ وما الجديد الذي أضافه كوهين لهذه النظرية؟ وهل نظرية العلاج بالمنطق عند كوهين تلغى العمل بنظرية إليس العلاجية؟ ولعل الإجابة عن هذه التساؤلات تبرز لنا طبيعة العلاقة التي يمكن أن تجمع بين هاتين النظريتين.

يرى كوهين أن العلاقة بين العلاج بالمنطق ونظرية إليس العلاجية علاقة قوية للغاية. وعلى الرغم من أن الأولى ينظر إليها على أنها تطور للثانية، فهو يؤكد أن العلاج القائم على المنطق لا يلغي - بأي شكل من الأشكال - نظرية إليس العلاجية. بل هما قائمتان، ومن الممكن التعاون فيما بينهما. بمعنى: أن العلاج بالمنطق يمكن

⁽¹⁾Olivia goldhill, would you ditch your therapist for a "philosophical counselor. 2016
<https://qz.com/804534/is-philosophical-counseling-the-new-therapy>

⁽²⁾بالفعل هناك بعض المصادر التي تناولت هذه الخطوات ، وحددتها في خمس خطوات فحسب، من خلال دمج الخطوة الخامسة والسادسة في خطوة واحدة ، انظر على سبيل المثال:
-Diaz-waian, Marisa., How Philosophy can Help us grieve , Op. Cit., P.28

أن يستعين بنظرية ليس العلاجيّة والعكس بالعكس.⁽¹⁾ وقد أشار كوهين - كما ذكرنا أنفاً - إلى أنه لم يعرض الإرشاد الفلسفي مستقلاً عن الإرشاد النفسي، وبالتالي فليس من المنطق أن يكون العلاج بالمنطق - وهو من صور الإرشاد الفلسفي - منفصلاً أو مستقلاً عن نظرية ليس العلاجيّة - وهي من صور الإرشاد النفسي وهذا لا يعني أيضاً أن النظريتين متطابقتان. وإنما ثمة اختلافات وفوارق بينهما رغم اشتراكهما فيعدة نقاط. وفي الحقيقة - كما أشرنا أنفاً - لم ينكر كوهين أن نظريته هي صورة متطورة من نظرية ألبرت ليس، ويكفي القول: إنَّ النظريتين قائمتان على الفرضية نفسها. والتي مؤداها أنّ المشاكل السلوكية والانفعالية تعود إلى التفكير اللاعقلاني. كما أن كوهين ذاته مارس طريقة العلاج الانفعالي السلوكي، بإشراف ألبرت ليس. ولعل فهم كوهين لنظرية ألبرت ليس وممارسته إياها، فتح أمامه الطريق لوضع نظرية علاجية متطورة. وهي تلك التي أسماها "بالعلاج القائم على المنطق". ويشير كوهين في ذلك إلى أنّ نظريته في العلاج القائم على المنطق، وضعت وتطورت في ضوء نظرية REBT، وبما يتفق مع التعاليم الخاصة باليس وأفكاره التّظيريّة.

ولعل التطور الذي شهدته نظرية ليس العلاجيّة على أيدي كوهين، سبقه بطبيعة الحال تحليل لهذه النظرية ومبادئها وأسلوب تعاملها مع المسترشدين. وإذا كانت نظرية ليس العلاجيّة تقوم أساساً على تغيير المعتقدات إلى ما هو أكثر عقلانية، ومعالجة المعتقدات غير المنطقية واستبدالها بما هو منطقي؛ فكان الأولى بذلك علم المنطق بوصفه العلم المتخصص، وهو ما تم بالفعل على أيدي كوهين، من خلال تحليله نظرية ليس، وإبراز الأصول الفلسفية والمنطقية التي تقوم عليها، وكتابات عنها وربطها بالإرشاد الفلسفي.⁽²⁾

ويوضح كوهين - في أكثر من موضع - كيف أنّ العلاج العقلاني الانفعالي، من خلال تركيزه على تصحيح الاستدلالات المنطقية عند المسترشدين، يعتمد على المنطق الصوري

(1) cohen ,Elliot,D., philosophical principles of logic-Based therapy, Op .Cit., p. 36

(2) Robertson, D: REBT, Philosophy and Philosophical Counseling, The British Journal of Philosophical Practice, Vol.3, Issue.3, November2000, P. 34

بمفاهيمه ومبادئه المتعددة. وكيف أنّ نموذج ABC- وهو الركيزة الأساسية في العلاج العقلاني الانفعالي - يمكن قراءته وبسهولة في إطار المنطق الصوري.⁽¹⁾

في حين أنّ النظريتين تتفقان على أنّ الحدث ذاته ليس هو السبب في السلوكيات أو الانفعالات التي تصدر عن بعض الأفراد. فالحدث قد يكون ثابتاً (الطلاق مثلاً)، والمتغير هو سلوك الأفراد وانفعالاتهم حوله، بين رفض واكتئاب من بعض الأفراد، ورضا ومواصلة من البعض الآخر. ومثل هذا التباين في السلوك يعود إلى تباين واختلاف أفكار ومعتقدات الأفراد تجاه الحدث ذاته. والخلاف بين النظريتين هنا ربما يكمن في أن نظرية إليس ناقشت النموذج ABC من منطلق فكرة السببية، في حين حولته نظرية كوهين العلاجية إلى استدلال منطقي له مقدمات ونتائج.

وإذا كانت هناك محاور ثلاثة في تعريف الانفعال، والتي أخذت بها نظرية إليس وهي: الحدث، والاعتقاد، والعواقب الانفعالية والسلوكية. وهي ذاتها التي يمثلها النموذج (ABC). وفيه أن (A) بمفردها، أو (B) وحدها ليست المسبب لـ (C) ولكن من خلال المزج بينهما $A+B \rightarrow C$ ، فالعلاج القائم على المنطق يعيد صياغة النقاط النفسية للعلاج العقلاني الانفعالي إلى العناصر المنطقية، ليس خطوات في سلسلة السببية، ولكن بوصفها عناصر في عملية التفكير، فهو يحول هذا النموذج إلى نمط استدلال.⁽²⁾

ويرجع تاريخ العلاج العقلاني الانفعالي إلى الفلسفة الرواقية، فقد كان أصحاب هذه المدرسة أمثال: ابيكتيتوس، وماركوس أوريلوس - بالإضافة إلى المفكرين البوذيين القدماء - هم الذين قاموا بوضع المبادئ الأساسية، التي تركز عليها نظرية العلاج العقلاني

(1) انظر في ذلك:

- Cohen, Elliot, D. , Syllogizing RET: Applying Formal Logic in Rational- Emotive Therapy ,Op .Cit., p.235

(2) Diaz-waian, Marisa., Op.Cit., P.27 - وانظر ايضا: Robertson, D : REPT, Philosophy and Philosophical counseling, Op. Cit., P. 29

الانفعالي⁽¹⁾. ورغم تأكيد كوهين – في أكثر من موضع – أنَّ العلاج العقلاني الانفعالي عند إيس له أصوله الفلسفية، كان يرى أن العلاج بالمنطق أكثر فلسفةً، من حيث نهجه وتعامله مع المسترشدين عن الإرشاد النفسي⁽²⁾.

فكلا النظريتين يعود إلى أصول فلسفية ومنطقية. وإن كانت نظرية كوهين أكثر فلسفة في تعاملها مع المسترشدين، فنظرية إيس فلسفية في أفكارها، وتميل إلى كونها نفسية في تعاملها مع المسترشدين. بينما ينظر إلى نظرية كوهين العلاجية على أنَّها فلسفية الأصول والتعامل.

ويهدف الإرشاد العقلاني الانفعالي إلى تحديد أسباب السلوك المضطرب، من أفكار ومعتقدات غير منطقية، ومساعدة المسترشد في التعرف إلى أفكاره غير العقلانية، التي تسبب سوء توافقه الاجتماعي، وتمكينه من دحضها ومحاربتها والتخلص منها، بالاقتناع العقلي والمنطقي وتعويضها بالتفكير الواقعي⁽³⁾.

وعن الأفكار اللاعقلانية، أو اللامنطقية فقد عرضها إيس في أكثر من موضع من مؤلفاته، والتي كانت تدور حول أحد عشر معتقد، أو فكرة لا منطقية يتبناها الإنسان، ويعدها من المبادئ الرئيسة التي يبني عليها تفكيره، والتي يكون لها الدور الأكبر، فيما يمر به هذا الإنسان من أزمات نفسية⁽⁴⁾.

وتختلف النظريتان في معالجة مثل هذه الأفكار اللامنطقية، فعلى حين تكتفى نظرية إيس العلاجية بمحاولة نزع مثل هذه الأفكار اللامنطقية من منطلق (لا تفعل). نجد أن

(1) محمد عبدالله الشيخ: الأفكار اللاعقلانية لدى الأمريكيين والأردنيين والمصريين، دراسة عبر ثقافية في ضوء نظرية إيس للعلاج العقلاني الانفعالي، المؤتمر السنوي السادس لعلم النفس، كلية التربية، المنصورة، (1990م)، ص (256).

(2) cohen, Elliot, D., philosophical principles of logic-Based therapy, Op .Cit., p.36

(3) فتحة، بلعسة، وحمودة، ايت: الإرشاد العقلاني الانفعالي لإيس، المرجع السابق، (40).

(4) انظر في ذلك: أسماء خويلد: الأفكار اللاعقلانية في نظرية الإرشاد العقلاني الانفعالي عند ألبرت إيس، مجلة دراسات وأبحاث، الجزائر، 2012م، ص (193-198).

نظريّة كوهين العلاجيّة لا تكنفي بنزع مثل هذه الأفكار، - التي تبدو عنده كالرذائل - وإنما تسعى إلى زراعة أو غرس فضائل بديلة للرذائل المستأصلة.

خامساً: مكانة نظريّة العلاج بالمنطق بين نظريات الإرشاد ومستقبلها:

إن الحديث عن العلاج الفلّسفي - بشكل عام والعلاج بالمنطق بشكل خاص - في ظل تفاقم مشكلات الإنسان النفسي والاجتماعية، جنباً إلى جنب مع العلاج النفسي ربما يثير نوعاً من الدهشة⁽¹⁾. بمعنى أنّ الشخص الذي يقع فريسة لأحداث الحياة الضاغطة، والتي تؤثر بطبيعة الحال في سلوكياته النفسية؛ غالباً ما يذهب إلى أخصائي علاج نفسي؛ في محاولة للتخلص من مثل هذه المشكلات النفسية. ولكن المدهش والغريب بالفعل أن نجد الشخص ذاته الذي يعاني المشكلات ذاتها، يجعل قبلته هذه المرة نحو أخصائي علاج فلسفي؛ عله يجد العلاج الناجع مما أصابه، وربما تكمن الدهشة أساساً في وجود ما يسمى بأخصائي علاج فلسفي، أو ما يمكن تسميته بالمرشد أو المستشار الفلّسفي.

ولكن يبدو أن مثل هذه الدهشة باتت مقصورة على ثقافتنا العربية، فلم يعد الأمر مستغرباً في الثقافات الأخرى، التي بدأت بالفعل تتعامل مع هذه الصورة العلاجيّة، كما تتعامل مع العلاج النفسي. يقول كوهين: إنّ هذه الصورة العلاجيّة القائمة على المنطق، قد تطورت تطوراً كبيراً منذ أن بدأ العمل بها في الربع الأخير من القرن العشرين. وبدأت تنتشر في العالم شرقاً وغرباً، وقد ساعد على هذا الانتشار، أن الكتب والمقالات التي تناولت المنطق باعتباره علاجاً، تم ترجمتها إلى لغات عديدة، منها: الإيطالية، والألمانية، والصينية، والكورية. كما أشرنا آنفاً.

وبطبيعة الحال فقد سارت مثل هذه الصورة العلاجيّة على النهج نفسها لتذيسار عليه الإرشاد الفلّسفي بشكل عام. فبينما نجد أن أول عيادة خاصة لممارسة الإرشاد الفلّسفي، تم افتتاحها في ألمانيا على أيدي جيردخين باخ عام 1981م، وبدأ بعدها الاهتمام المتزايد بالإرشاد الفلّسفي. نجد أن أول صرح رسمي للعلاج بالمنطق كان من خلال إليوت كوهين، من خلال ما يسمى "بالمركز الوطني للعلاج القائم على المنطق"،

(1) مصطفى النشار: العلاج بالفلسفة، المرجع السابق، ص(33).

وكان ذلك في عام 1985م. والذي بدأ معه نمو وتطور هذه الصورة العلاجية. والتيلقت اهتماما كبيرا من قبل المرشدين النفسيين، والفلسفيين على حد سواء.⁽¹⁾ ولكن لنا أن نتساءل هنا- خاصة في ظل هذا النمو والتطور- ما هو مستقبل المنطق باعتباره علاجاً، خاصة في ظل وجود أنماط علاجية أخرى، والتي لها تاريخها ونجاحاتها الخاصة؟

نرى من وجهة نظرنا المتواضعة أن نظرية العلاج بالمنطق- بوصفها صورة من أبرز صور الإرشاد الفلسفي وبالشكل الذي ظهرت عليه على أيدي كوهين- سوف يكون لها موقع متميز ومستقبل عريض بين نظريات الإرشاد الأخرى الفلسفية منها أو النفسية، وسوف تزداد نمواً وتطوراً وانتشاراً؛ وذلك لعدة أسباب، منها:

- إن الأزمة الحقيقية التي يعانيها إنسان هذا الكوكب هي أزمة التفكير المنطقي، والتي بطبيعة الحال تؤدي إلى سلاسل متلاحقات من الأزمات النفسية التي تتناوب على هذا الإنسان.

- إن المنطق باعتباره علاجاً لا يدخل في صراع مع أنماط علاجية أخرى؛ فهو له نهجه الخاص والمحدد، بالشكل الذي يجعله علاجاً تعاونياً أو تكميلياً.

- إن المنطق باعتباره علاجاً قد يبدو مقبولاً ومرحباً به لدى قطاع كبير من البشر، خاصة في الثقافة العربية، فثمة أناس كثر يعانون اضطرابات سلوكية وتوترات حياتية، ويجدون حرجاً في الذهاب إلى ما يسمى بالأخصائي النفسي.

- إن العلاج النفسي يفشل في بعض الأحيان - في السيطرة على الأمراض السلوكية لدى الأفراد، ومن ثم فلا بد من وجود بديل، يلجأ إليه المريض حال تعثر به الطريق في العلاج النفسي.

وهذا بالفعل ما بدأت تؤكد بعض الدراسات في الآونة الأخيرة، فهناك من يرى أنه بدلاً من الذهاب إلى المعالجين النفسيين التقليديين؛ للحصول على المشورة والدعم، فإثباتاً لعدد متزايدة من الناس يتوجهون إلى المرشدين الفلسفيين؛ للحصول على مثل هذه الإرشادات، ليس هذا فحسب، بل وإن بعض المرشدين الفلسفيين - أمثال ناثن

(1) Cohen, Elliot, D., Theory and Practice of logic- Based Therapy, Op. Cit., p. ix

نوبيس⁽¹⁾ Nathan nobies - يؤكد أن العديد من مستصحيهم جاءوا إليهم، بعد تجارب محبطة مع العلاج النفسي⁽²⁾

هذا من جانب، وعلى الجانب الآخر نجد أن أعداد المرشدين الفلسفيين أو الذين يحصلون على إجازة في ممارسة الإرشاد الفلسفي في تزايد مستمر. فبعدما كان عددهم لا يتعدى (75) خمسة وسبعين مرشدا في عام 2011م، وصل العدد في عام 2016م إلى أكثر من (300) ثلاث مئة مرشد. ولعل مثل هذه الزيادة تعود إلى الوعي بمدى جدوى الإرشاد الفلسفي بشكل عام، والعلاج القائم على المنطق بشكل خاص. هذا بالإضافة إلى الاهتمام المتزايد من قبل الفلاسفة الذين يرغبون في وضع معارفهم الأكاديمية؛ للاستخدام العملي في الإرشاد الفلسفي⁽³⁾.

ونحن نضم صوتنا مع من يأمل أن يطرق هذا النهج أبواب مجتمعاتنا العربية، لنرى مدى الخدمات التي يمكن أن يسهم فيها لتحسين واقع الصحة النفسية، لدى البشر الذين يعانون أزمتهم ومآزق وجودية تعكر صفو حيواتهم. خاصة أن الإرشاد الفلسفي انطلق في الدول الغربية بقوة لتأكيد ذاته كمجال، ضمن مجالات الخدمات النفسية المتنوعة، حاملاً معه أدوار التحول الإصغائي، والتهدد الذاتي، والتأمل؛ لحل القضايا التي تساعد المستصح على الفهم واتخاذ القرارات، لحل المآزق الحياتي الذي يعانيه⁽⁴⁾.

(1) دكتور ناثان نوبيس: مرشد فلسفي معتمد، حصل على شهادة LBT عام 2012م، من معهد التفكير النقدي الذي أشرف عليه الدكتور إليوت كوهين - أحد مؤسسي المبادئ الإرشادية ومطور العلاج القائم على المنطق، وناثان أيضاً عضو في جمعية المشورة الفلسفية الوطنية، درس دورات الفلسفة لأكثر من عشر سنوات لتأهيله كمرشد، هذا بالإضافة إلى كونه أستاذاً مشاركاً في الفلسفة. المزيد من المعلومات متاحة على الرابط:

<http://www.atlantaphilosophicalcounseling.com/p/about.html>

(2) Olivia goldhill, would you ditch your therapist for a "philosophical counselor", 2016, <https://qz.com/804534/is-philosophical-counseling-the-new-therapy>

(3) Ibid

(4) رياض العاسمي، ما بين الإرشاد الفلسفي والنفسي صراع أم تعاون، ص (65، 66).

ولعل الظروف والأزمات التي تمر بها الدول العربية تعد مناخا جيدا لنجاح مثل هذه النظرية. لا سيما أن جل معتقداتنا وأفكارنا التي يركز عليها تفكيرنا ما زالت تدخل في إطار الأفكار والمعتقدات اللامنطقية. فعند النظر إلى أية مشكلة من المشكلات الآنية نجد أن وراءها تفكيراً لا عقلانياً.

خاتمة:

وفي ختام هذا البحث، نحاول رصد بعض النتائج التي توصلنا إليها، والتي تكمن في الآتي:

أولاً- إن نظرية العلاج القائم على المنطق تؤكد على العلاقة الوثيقة والتاريخية التي تربط بين الفلسفة وعلم النفس.

ثانياً- إن ثمة تشابهات عدة بين نظرية العلاج القائم على المنطق عند إليوت كوهين، ونظرية ألبرت إيس العلاجيّة مثل الهدف، وفرضية الانطلاق. ولكن، أهم ما يميز نظرية إليوت عن نظرية إيس، هو الطابع الفلسفي والمنطقي الذي يغلف جوانب النظرية كافة.

ثالثاً- إن نظرية إليوت كوهين العلاجيّة مرّحّب بها في الوسط الإرشادي؛ لما قدمته من نجاحات واضحة على أرض الواقع، وما تقدمه من اسهامات في ميدان الصحة الإيجابية.

رابعاً- إن نظرية العلاج القائم على المنطق تعد الصورة المثلى للإرشاد الفلسفي، ومن أبرز صور الفلسفة التطبيقية، وذلك من خلال تعاملها مع المشاكل اليومية التي يتعرض لها أفراد المجتمع.

خامساً- إن إليوت كوهين وضع نظرية محكمة في العلاج القائم على المنطق، من حيث الفرضية التي تقوم عليها، والهدف الذي تنشده، والخطوات التي تمر بها. وقد تم تطبيق هذه النظرية بالفعل في علاج العديد من الحالات.

سادساً- إن العلاج القائم على المنطق ليس بالأمر اليسير على من يقومون به، فالشخص المعالج هنا أو المرشد بحاجة إلى المزيد من الدورات والتدريبات التي قد تمتد لعدة سنوات؛ من أجل التأهيل لممارسة مثل هذا العلاج.

سابعاً- على الرغم من الانتشار الذي حققته نظرية العلاج القائم على المنطق منذ نشأتها، فنمّة دول عديدة وشعوب مختلفة ما زالت بعيدة تماماً عن هذه النّظرية، مع أنهم قد يكونون في أمس الحاجة إليها.

مراجع البحث

أولاً: مراجع باللغة العربية

1-رابه، بيتر ب: الاستشارة الفلسفية، "الإرشاد الفلسفي" (النظرية والتطبيق)، ترجمة وتعليق، عادل مصطفى، دار رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، 2021م.

2-خويلد، أسماء: الأفكار اللاعقلانية في نظرية الإرشاد العقلاني الانفعالي عند ألبرت إيس، مجلة دراسات وأبحاث، الجزائر، (2012م)، ص ص (189-193).

3-الشيخ، محمد عبد العال: الأفكار اللاعقلانية لدى الأمريكيين والأردنيين والمصريين، دراسة عبر ثقافية في ضوء نظرية إيس للعلاج العقلاني الانفعالي، المؤتمر السنوي السادس لعلم النفس، المنصورة، مصر، كلية التربية، (1990م).

4-العاسمي، رياض: ما بين الإرشاد الفلسفي والنفسى صراع أم تعاون؟، مجلة نقد وتنوير، العدد الخامس، (2016م)، ص ص (22-70).

5-فتيحة، بلعسة وحمودة، ايت: الإرشاد العقلاني الانفعالي لأليس "مبادؤه وأسسهِ وتطبيقاته في العملية الإرشادية"، مجلة الباحث، الجزائر، العدد (9)، (2014م)، ص ص (47-54).

6- النشار، مصطفى: العلاج بالفلسفة، الدار المصرية السُعوديّة، القاهرة، (2010م).
ثانياً: مراجع باللغة الإنجليزية:

1- BlankaSulavikova: Key Concepts in Philosophical Counseling, Institute for Research in Social Communication, Slovak Academy of Sciences, Human affairs 24, 2014, PP. 574-583.

2- Cohen, Elliot, D. , Critical Thinking , Rowman & Littlefield Publishers, Ine New York, 2009.

3- -----, Logic-Based Therapy: The New Philosophical Frontier for REBT" Albert Ellis Foundation, Available from:
<http://www.rebtnetwork.org/essays/logic.html>

4- -----, The Metaphysics of logic-based therapy, International journal of Philosophical Practice, 2005.

- 5- -----The New Rational Therapy: Thinking Your Way to Serenity, Success, and Profound Happiness.(Lanham, MD: Rowman& Littlefield, 2007)
- 6- -----, "Philosophical Counseling: Some Roles of Critical Thinking," in Ran Lahav& Maria Tillmanns, Eds., Essays on Philosophical Counseling (New York: University Presses of America, 1995).
- 7- -----, "The Philosopher as Counselor," in Elliot D. Cohen, Ed., Philosophers at Work: Issues and Practice of Philosophy (Belmont, CA: Wadsworth, 2000), 457-466
- 8- ----- , philosophical principles of logic –Based Therapy, Practical philosophy, the British Journal of PhilosophicalPraactice, Spring 2003, PP.27-35.
- 9-----., Syllogizing RET: Applying Formal Logic in Rational–Emotive Therapy, Journal of Rational Emotive and Cognitive – Behavior Therapy , Vol. 10, No. 4., Winter 1992, PP. 235-252.
- 10-----.,Theory and Practice of logic Based Therapy: integrating critical Thinking and Philosophy into Psychotherapy, Cambridge Scholars Publishing, 2013.
- 11- ----- "The Use of Syllogism in Rational–Emotive Therapy," Journalof Counseling & Development, Vol. 66, No. 1 (1987): 37-39
- 12- -----, What Else Can You Do With Philosophy Besides Teach? National Philosophical Counseling Association session held, 2014
- 13- Delgado,Ben: Philosophical Practice During End of life care, international Journal of Philosophical Practice , Vol.4,No.3, spring 2017.
- 14- Diaz–waian, Marisa., How Philosophy can Help us grieve : Navigating the wake(s) of loss, International journal of Applied philosophy ,2014, PP.19- 48.
- 15- Kristensen ,Simon Bertel: A Life in Balance: Using LBT to overcome a students Self–Defeating Reasoning, international Journal of Philosophical Practice, Vol.4,No.3, spring 2017.

- 16– Manassero, Angelo Mario, The Six Steps LBT and Antidotes for Aurora's Anxiety, international Journal of philosophical Practice Vol.4, No.3, spring 2017.
- 17– Olivia goldhill, would you ditch your therapist for a "philosophical counselor; 15 October 2016, Available from: [www. qz. com/804534/is-philosophical-counseling-the-new-therapy](http://www.qz.com/804534/is-philosophical-counseling-the-new-therapy)
- 18– Piozzini, Barbara, Applying LBT in Group Settings, international Journal of Philosophical Practice , Vol.4,No.3, spring 2017.
- 19–Robertson, D: REBT, Philosophy and Philosophical Counseling, The British Journal of Philosophical Practice, Vol.3, Issue.3, November2000, PP.28 –37
- 20– Taylor, James Stacey, The Future of Practical Philosophy, international Journal of Philosophical Practice, Vol.2,No.2, spring 2004.
- 21–Tukiainen, A., Philosophical Counseling as a process of Fostering Wisdom in the form of Virtues, Practical philosophy, Vol., 10–1, July 2010, PP. 48–57.
- 22– Zinaich, jr., Samuel, Elliot D., Cohen on the Metaphysics of logic – Based Therapy, international Journal of Philosophical Practice, Vol. 3, No.1, Summer 2005.